

## مآل الفلسفة بعد هيجل "قراءة في فكر المرزوقي"

## The fate of philosophy after Hegel « Reading in the thought of Marzouki »

نصلي بكير دليلة<sup>1</sup>

جامعة عبد الحميد ابن باديس-مستغانم-

naslibakirdalila@gmail.com

بن جدية محمد

جامعة عبد الحميد ابن باديس-مستغانم

bendjeddia@yahoo.fr

تاريخ الوصول 2020/12/14 القبول 2023/02/18 النشر على الخط 2023/06/05

Received 14/12/2020 Accepted 18/02/2023 Published online 05/06/2023

## ملخص:

تتعدد المناهج وتختلف من علم إلى آخر، وتعدّ السبيل الوحيد في التلاقي بين العلوم، سواء في العلوم الإنسانية أو الاجتماعية، وعرفت الفلسفة العديد من المناهج عبر العصور، وحاولت أن تستند عليها في تصوراتها، ولعل تنوعها هذا أسهم في بناء منظومة فلسفية متينة، والمفكر التونسي أبو يعرب المرزوقي من الذين اعتمدوا على تنوع ثقافي هائل في إنجازاته والذي قاده إلى تجديد أفكاره وتنظيمها ومحاوره العصر. يستند في مقالاته على تنوع الثقافات ومحاولة المزج بينها وقد اعتمد على فلاسفة غربيين أمثال: هيجل وماركس...

من خلال هذا المقال سنحاول التطرق إلى مكانة الفيلسوف الألماني هيجل ومساهمته في الفلسفة المعاصرة، ونحاول معالجة الإشكاليات التالية: كيف يمكن للفلسفة التي تبناها هيجل -بالرجوع إلى المرزوقي- أن تكون ذات صلة بالفلسفات التي كانت قبلها؟ وفيما تجلت الإسهامات التي قدمها هيجل للفلسفة المعاصرة -انطلاقاً من المرزوقي-؟

**الكلمات المفتاحية:** الفلسفة، هيجل، المرزوقي، المنهج، الفلسفة المعاصرة.

**Abstract:**

Methods varied and differ from one science to another, and it is considered like the only way to meet between sciences, whether in the human or social sciences. Perhaps philosophy is one of these sciences that has known a multiplicity of approaches throughout the ages, as it relied in its inception on a set of approaches and tried to base them on its perceptions, and perhaps its diversity contributed to build a solid philosophical system. The Tunisian thinker Abu Yarub Al-Marzouki is one of those who relied on a tremendous cultural diversity in his accomplishments; He based his articles on the diversity of cultures and trying to mix them. This was evident in his reliance on Western philosophers such as: Hegel and Mar...

Through this article we will try to address the position of the German philosopher Hegel who contributed to contemporary philosophy. We try to address the following problems: How could the philosophy adopted by Hegel be relevant to the philosophies that preceded it? What are the contributions made by Hegel to contemporary philosophy?

**Keywords:** philosophy, Hegel, Al-Marzouki, method, Contemporary philosophy.

## 1. مقدمة:

يعدّ المرزوقي من أبرز المفكرين العرب الذين ذاع صوتهم في الحقبة المعاصرة، ومن حاولوا معالجة مشاكل عصرهم إذ كانت أفكاره تدور حول العديد من التساؤلات بشأن معقولية المشروع الفلسفي وهل بإمكانه أن يقدم نهضة حقيقية. إن التنوع الفكري الذي نلمسه داخل مشروعه أحدث ثراءً مفاهيمي وقد تجلّى في اهتمامه لبعض الفلاسفة الغربيين، وذلك ما ساهم في بناء فكره والذي يبرز في جل كتبه ومقالاته.

وهذا ما يؤكد تأثره بالفلسفة الألمانية بصفة عامة وبهيجل خاصة. يعود سبب ولوعه واهتمامه بهيجل كونه فيلسوفاً موسوعياً، وعلى حسب قوله "ما إن تفتح كتاب هيجل حتى تغرم به لأنه يعطي صورة عن العالم فلسفة التاريخ، فلسفة الطبيعة، فلسفة الدين، المنطق...". ويعتبر المرزوقي هيجل آخر فيلسوف في تاريخ الإنسانية وبعده ماتت الفلسفة بمعناها التقليدي، فما الجديد الذي جاء به هيجل؟ وكيف أصبحت الفلسفة بعده؟

## 2. دور هيجل في فلسفة المرزوقي:

### 1.2 . المرزوقي وعلاقته بهيجل:

يشير المرزوقي في أكثر من محطة أنه كان مولوعاً بهيجل وأراد أن يقرأ كتبه في أصلها ولكن ألمانيته لم تسمح له بذلك، واختار أن يتابع تعليمه في اللغة الألمانية. وأعلن أن الفلسفة هي رؤى وجودية وليست تأويلاً لثمرات العلوم بعد التمكن منها. حاول المرزوقي أن يثبت أن المرحلة الإسلامية لها خصائصها والتي ساهمت في الفكر الفلسفي وليست كما اعتبرها هيجل مرحلة لم تضيف شيئاً بل هي مجرد نقل يوناني وترجمة للفلسفة اليونانية، بل بالعكس فالفلاسفة المسلمون كالغزالي وابن خلدون وابن رشد وغيرهم أضافوا الكثير لهذه الفلسفة ولم تبق كما كانت عند اليونان. هذا ما سعى إلى إثباته من خلال مسيرته الفكرية التي لا تزال متواصلة. أما الدافع الثاني تجلّى في أن هيجل كتب عن الأديان السماوية وخصص لها فصلاً في كتابه ولكنه لم يخصص فصلاً للدين الإسلامي في حين أنه كان معجباً به.

وقد تحدث عنه في كتبه الأولى ولكن في كتاب "فلسفة الدين" لم يخصص له فصلاً وقد درس أحد عشر شكلاً من أشكال الدين ولم يتحدث عن الإسلام. وهذا ما دفع بأبي يعرب إلى محاولة البحث عن العلة التي جعلت هيجل يتجاهل ذلك.

### 2.2 هيجل ونسقه الفلسفي:

ولد هيجل في شتوتغارت بألمانيا عام 1770، ويعد واحداً من أعظم الفلاسفة تأثيراً في جميع العصور<sup>1</sup>، ويتداول أنّ مصطلح الفلسفة يعني عند هيجل "منهجاً لفهم حركة التاريخ قبل كل شيء"، لذلك يبدو من شبه المستحيل أن نتحدث عن هيجل، دون أن نتحدث عن تاريخ البشر<sup>2</sup> بمعنى أن فلسفته كلها تمحورت حول فلسفة التاريخ أي: أنها ليست نظرية تاريخية فقط، وهنا تكمن صعوبة الدراسات الهيجلية عموماً.

\* تقدم هذه الموسوعة جملة من الشروحات للمصطلحات الفنية الرئيسية التي يستخدمها الفلاسفة على اختلاف آرائهم، وتعرض أعمال الفلاسفة وآراءهم وتقدم عرضاً للإجابات الرئيسية عن الأسئلة الفلسفية والمذاهب التي تكاد تكون هياكل لمواقف فلسفية أكثر منها إجابات شافية مثل: الواقعية، والمثالية، والعقلية وغيرها. كما تشير إلى الميادين الرئيسية للبحث الفلسفي من خلال عدة مقالات حول المنطق، والميتافيزيقا، ونظرية المعرفة والأخلاق، وعلم الجمال.

<sup>1</sup> أنظر، جوناثان، ري أرمسيون، الموسوعة الفلسفية المختصرة، تر: فؤاد كامل وآخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2013، ص394.

<sup>2</sup> جوستاين، غاردر، عالم الصوفي، ترجمة: حياة الحويك العطية، دار المنى، الأردن، 1991، ص379.

إن فلسفة هيكل متداخلة ومتراطة بشكل عجيب، بحيث لا يمكن فهم فلسفته في قضية جزئية إلا من خلال فهم فلسفته ككل بحيث "لا يتسنى فهم نظرية هيكل في التاريخ إلا من خلال النسق العام لفلسفته"<sup>1</sup> والحديث عنه يقودنا إلى ما يطلق عليه "الديالكتيك" أو "الجدل الهيكلية" والجدل هو العصب الرئيسي في فلسفته<sup>2</sup>.

عند البحث في معنى الديالكتيك نجد أنّ "الموسوعة الفلسفية المختصرة"\* ذكرت أنّ الجدل يستمد اسمه من الفعل اليوناني الذي يعني "يحاوّر" ومعناه في الأصل "فن الحوار أو النقاش، أو الجدل"، إذ يعتبر أرسطو هو أول من أقام الجدل على أساس متين في كتابه "الطوبيقا" مستهدفاً أن يجد من البراهين ما يؤيد رأيه أو يدحض الرأي الآخر، ومعنى ذلك هو أن الجدل عند أرسطو كان مجرد منهج استدلال عقلية، في حين هيكل قد نحا بالجدل منحى جديداً للغاية ولم يعتبره مجرد عملية استدلال بل اعتبره طريق سير. فمفهوم الجدل عند هيكل يختلف تماماً عن المفهوم الذي جاء به أرسطو ونجد العديد ممن يخطئون في فهم هيكل وذلك عندما يقرؤونه بعقلية أرسطية، لذا لا بد من قراءة هيكل وفهمه من خلال مصطلحاته وليس من خلال المعاجم الفلسفية التقليدية.

يتألف الجدل عند هيكل من حركة ثلاثية تنتقل من "الدعوى" إلى "نقيضها" إلى "التأليف" بين الطرفين ويشرح هيكل هذا الثالث ففي البداية تناول فكرة ناقصة تؤدي مناقضاتها إلى أن يحل محلها نقيضها. في حين أن هذا النقيض تظهر فيه العيوب عينها إذ لا يبقى طريق للخلاص سوى من خلال الدمج بين محاسن التصورين في تصور ثالث ومع هذا فالعلاج من دوره أن "يحل المشكلات السابقة ويتقدم بنا خطوة نحو "الحقيقة"، إلا أنه بدوره يكشف عن متناقضات، فينشأ من جديد موضوع ونقيضه، ثم يرتفع هذا التناقض بينهما في تألف جديد، وهكذا دواليك، حتى نصل إلى مقولة (الفكرة المطلقة)<sup>3</sup>، أي: أن الجدلية هي تعبير عن التفاعل بين الفكرة ونقيضها، على نحو يدفعها للتطوير والرقى على شكل سلم لولبي حتى نصل إلى الفكرة المطلقة. كما أسلفنا سابقاً أن الجدل هو عصب فلسفة هيكل في حين أن التناقض هو عصب جدليته، وهو برأي هيكل أصل كل حركة وتطور وتقدم، ولولاه ما تحققت حركة أي شيء وحيويته<sup>4</sup>.

ما يمكن تدوينه هنا "ما من شيء أفضل للتقدم من وجود متعارضين أقوياء"<sup>5</sup>، فالجدل الهيكلية مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتاريخ بحيث إنّ نظرة هيكل للتاريخ باعتباره مسرحاً للجدلية، وهو سعي للرقى بالوعي والوصول للحرية ويرى أن التاريخ هو مسار يعبر عن التقدم من خلال الشعور بالحرية، وهذا المسار لا يكون إلا من خلال صراع المتناقضات وفقاً لمنطقه الجدلي، وفي كل دورة جدلية تتقدم نحو الأفضل والأرقى في الشعور بالحرية. وهو لا يرى أن الحروب والصراعات بين الأمم ضرورية للتقدم فحسب، بل يرى أن فترات الرخاء والهناء والسلام الخالية من التناقض، هي ليست عصوراً تاريخية ولا يعتبر مرحلة تاريخية أثناء عرض مراحل التاريخ<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> صبحي، أحمد، في فلسفة التاريخ، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1975، ص 204.

<sup>2</sup> أنظر، الديدي، عبد الفتاح، فلسفة هيكل، مكتبة الأجلو المصرية، القاهرة، 1970، ص 84.

<sup>3</sup> جوناثان، ري أرمسيون، الموسوعة الفلسفية المختصرة، مرجع سابق، ص 124.

<sup>4</sup> أنظر، الديدي، عبد الفتاح، فلسفة هيكل، مرجع سابق، ص 86.

<sup>5</sup> جوستاين، غاردر، عالم الصوفي، مرجع سابق، ص 385.

<sup>6</sup> الشافعي، سلمان علاء (2019)، فلسفة التاريخ عند الفيلسوف الألماني هيكل، الأولة الثقافية، 2014/12/25: [www.alukah.net/cultur](http://www.alukah.net/cultur)

(consulté le 31/01/2019)



المسيحية المقصودة. فهيجل لا يقبل بتسمية دين السحر إلا تماشياً مع توسيع مفهوم الدين في الفكر الحديث لأنه يفضل أن يعتبره ما قبل الدين أو هو الدين المباشر الذي يخلو بعد من الوعي بالذات<sup>1</sup>.

إن هذه البنية تتضمن بعداً يلازمها منذ بدايتها إلى الغاية وهو حضور الإسلام في كل هذه المراحل في حين أنه غائب بما هو واحد منها. وما يلفت انتباهنا هو حضوره حضور "الند المضاد في غاية الكلام على الشكل الديني الأتم. وهذا الحضور الممثل للوجه السلبي من المسيحية التي يعتبرها الدين الخاتم يجعلنا نتساءل عن حقيقة هذا التقابل بين الإسلام والمسيحية ليس في فلسفة الدين وحدها وكذلك في فلسفة التاريخ" (المرزوقي أبو يعرب 2015: موقع سابق)، ويقصد المرحلة الرابعة أو المرحلة الجرمانية من تاريخ البشرية ووصف هيجل مجرى التاريخ كمسار الضوء، وكما أن الشمس تشرق من الشرق وتغرب من الغرب، فإن آسيا هي بداية التاريخ، وأروبا هي نهايته.

اعتبر هيجل أن تاريخ العالم ليس إلا ترويضاً للإرادة الطبيعية على الخضوع للنظام وجعلها تطيع المبدأ العام. قد جعل المراحل التي سارت فيها هذه العملية هي أولاً مرحلة الطفولة والتي تبدأ من الشرق (الصين والهند) الذي لم يعرف الحرية إلا لفرد واحد، أما ثانياً مرحلة الصبا والتي تمثلها آسيا والتي هي (بلاد فارس ومصر)، وثالثاً مرحلة المراهقة والتي تمثلها اليونان، ورابعاً مرحلة الرجولة وتمثلها الدولة الرومانية، خامساً مرحلة الشيخوخة والتي يمثلها العالم الجرمني. ويصرح بقوله "إذا كانت الشيخوخة في الطبيعة تعني الضعف والهرم، فإن شيخوخة الروح تعني نضجها وقوتها الكاملة"<sup>2</sup>.

وقد لخص هيجل فلسفة التاريخ واعتبر أن الوعي بالحرية هو النتيجة التي يتجه مسار التاريخ إلى إنجازها، ومن خلال ما قدمه هيجل في كتاب "فلسفة التاريخ" والذي هو عبارة عن مجلدين-الأول تحت عنوان "العقل في التاريخ" والثاني "العالم الشرقي"- فالأول هو دراسة نظرية في حين أن الثاني هو التطبيق العلمي له. فيه قد تناسى المرحلة العربية ولم يذكرها، هل هذا بقصد منه أو بدون قصد؟! وما يمكن قوله: ثمة وجود علاقة واضحة بالتاريخ الفعلي لكون أن كل التاريخ الوسيط إلى بدايات التاريخ الحديث، اعتبر صراعاً بين الحضارتين العربية الإسلامية والجرمانية المسيحية إذ "هذا التلازم المثلث في فلسفة الدين وفي فلسفة التاريخ ووقائع التاريخ ذاته طرح السؤال التالي إذا وصلنا الكلام عليه من منطلق الوضع الراهن للعلاقة بين الحضارتين: هل جعل المسيحية غاية قابلة للفصل عن إيصال البشرية، إلى الوجه الثاني من العقلية السحرية إذ تتحقق بالفعل؟"<sup>3</sup>

يرى الفيلسوف الألماني أن المرحلة الجرمانية هي أول الأمم التي تصل إلى الوعي بأن الإنسان بما هو إنسان حر، فالروح الألماني هو روح العالم الجديد بحيث "بلغ تمجيداً ألمانيا حداً يجعلنا نتوقع أن نجد التجسيد النهائي للفكرة المطلقة، التي لا يمكن بعدها أن يحدث تطور أبعد"<sup>4</sup> فهذا التقسيم الغريب الذي ينبئ عن تعصب عرقي و"كأن التاريخ انتهى عند ألمانيا، فهي التجسيد المطلق للحرية! يناقض نظرية الجدل (الديالكتيك) عند هيجل نفسه، فكأنه قد حكم على التاريخ بالتوقف، والتطور بنهايته، والروح بتحقيق وعيها الكامل، والفكرة بالوصول إلى مطلقها، فقط عند الشعب الجرمني!"<sup>5</sup>

<sup>1</sup> أنظر، المرزوقي أبو يعرب (2015)، منزلة الإسلام في تصنيف هيجل للأديان، موقع سابق.

<sup>2</sup> هيجل، العقل في التاريخ، ترجمة، إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، بيروت، 2007، ص 194

<sup>3</sup> المرزوقي أبو يعرب (2015)، منزلة الإسلام في تصنيف هيجل للأديان، موقع سابق.

<sup>4</sup> برتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة، محمد فتحي الشنيطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط 3، 2012، ص 321.

<sup>5</sup> الشافعي، سلمان علاء (2019)، فلسفة التاريخ عند الفيلسوف الألماني هيجل، موقع سابق.

وما نلاحظه تاريخيا في دراسة فلسفة هيغل تلکم العنصرية والعصبية لأوروبا بشكل عام، ولألمانيا بشكل خاص، فقد جعل من أوروبا مركز العالم ونهاية التاريخ! وهو في تعصبه لا يصل لهذا الحد، بل يقول "إن القدر المحتوم للإمبراطوريات الآسيوية أن تخضع للأوربية، وسوف تضطر الصين في يوم من الأيام أن تستسلم لهذا المصير"<sup>1</sup>

فالمأمل في فلسفته يجده قد تجاهل الحضارة العربية والتاريخ الإسلامي، ومر عليه كأنه لم يكن إذ أنه اختزل مراحل التاريخ "إلى تاريخ شرقي قديم، ثم يوناني وروماني، ثم جرمانى! وكأن الحضارة العربية والإسلامية التي جاءت بعد الرومان ليست لها أي قيمة ولا ذكر أو حتى إشارة! وهي سقطة كبيرة في حق فيلسوف كبير"<sup>2</sup> عمل المرزوقي على ترجمة لـ "دروس في فلسفة الدين لدى هيغل" وثمة وجود دافعين رئيسيين لهذه الترجمة، ويعود السبب الأول إلى كون هيغل نفسه مهتما بنشر الضميمة التي حررها بيد وكانت تحت عنوان "دراسة منطقية في أدلته وجود الله"، كما أن كتابه المعروف بـ "فلسفة الدين" لم يجره كاملا وإنما اكتفى بوضع الخطة والهوامش وبعض الفقرات وراجع بعض أعمال طلبته.

يقول المرزوقي: أنه يملك أربع مرات الدرس في فلسفة الدين مع مراجعة هيغل والضميمة التي حررها بنفسه. أما الدافع الثاني، بعيدا عن كونه مغروما بهيغل كان دوما في تساؤل حول تجاهل هيغل للإسلام مع أنه معجب به، وقد تحدث عنه في مؤلفات أخرى، وعلمنا أن كتابه "فلسفة الدين" له منزلة أول كتاب لـ "فينومينولوجيا الروح" والذي بين من خلاله كيف يتطور العقل الإنساني ليصبح فيلسوفا، أما الثاني بين أن هذا التطور هو حركة دينية معنى ذلك أن الكتاب الثاني "فلسفة الدين" هو التأويل الميجلي لـ "فينومينولوجيا الروح" أي أن الروح يصبح حرا كريمة بالتطور التاريخي الذي يجعله يدرك الحقيقة التي هي في نفس الوقت فلسفية ودينية.

حاول المرزوقي إيجاد تفسيرٍ لمنزلة الإسلام عنده هيغل، وفسر بأن "الإسلام في الحقيقة حركة تنويرية من منطلق الدين" ويقارنه بالثورة الفرنسية والتي هي حركة تنويرية من منطلق الفلسفة، لذلك يعتبر أنهما تتصفان بنفس الصفات وهما يعبدان المجرى ولا يهتمان بالمتعين ومن هنا وضع الدولة المستحيلة دولة الإسلام وذلك لسببين هما:

- أنها تسوي بين الناس وهذا لا يبنى به المجتمع.
  - إن معيارها يقوم على التمييز بين الناس وهذا يتعلق بالأخلاق.
- إذن: دولة تسوي بين الناس ولا تعترف بالطبقية ولا بالعرقية ولا تعترف كذلك إلا بمعيار التقوى الذي يعدّ معياراً خلقياً يعتبرها يتوبيا، وقد ترجم المرزوقي هذا الكتاب وكتب في مقدمته وأكد أنها يتوبيا لكن هي التي يحلم بها الانسان الحالي بعد أن رأى شتم العولمة بات يحلم بـ "يتوبيا الإسلامية" التي هي حقيقة وليست بتوبيا والإسلام يسميها فطرة الإسلام<sup>3</sup>، وإذ ما واصلنا فكر هيغل في عرضه للتكوينية فإننا لا يمكن أن نعتبر الدين المسيحي غاية لهذه التكوينية إلا إذا "انقلب بمعيار السلطان الطبيعي وبمنطق هيغل نفسه إلى النقي المطلق للدين بتحقيق حلم السحرة أي السلطان المطلق على الطبيعة. بذلك يكون مآل هذه الغاية تأليها

<sup>1</sup> هيغل، العالم الشرقي، ترجمة، إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، بيروت، 2007، ص50.

<sup>2</sup> الشافعي، سلمان علاء (2019)، فلسفة التاريخ عند الفيلسوف الألماني هيغل، موقع سابق.

<sup>3</sup> تريكي، مالك (2016) فسحة فكر، المفكر التونسي أبو يعرب المرزوقي. 2016/05/20:

للإنسان متعينا في عصر التكنولوجيا الشاملة التي يكون فيها الانسان ذا سلطان حقيقي على الطبائع وليس بمجرد ساحر: وليس سر عبارة موت الرب الحقيقي ليس نيتشه بل هيغل<sup>1</sup>.

ويعتبر هذا نفيًا تاماً للدين أو هو اللادين المباشر أو التقنية ويقر المرزوقي في هذا إذ أن "ما يكاد يطابق أزمة الإنسانية الحالية إنسانية العولمة التي تجعل الجميع عبيدا ما يجعل التضاد مع الإسلام ذا معنى لأنه هو الوحيد الذي يمكن أن يمثل الحائل دون هذا المآل الحزين للبشرية: وهذا السلطان مباشر على الطبيعة عامة (سلطان السحرة)"<sup>2</sup> بحيث لا يقبل المقارنة بالسلطان غير المباشر الذي تقوم به نحن الآن بالآلات الصناعية على الموضوعات الطبيعية في جزئيتها. هذا السلطان الذي يتركز عليه الانسان المتحضر على الأشياء الطبيعية الجزئية والمفروض أنه قد انسحب من العالم وقد حافظ عليه وهذا باعتباره أمرا خارجيا بالنسبة إليه، أي العالم الذي "له قيام ذاتي وخصائص كيفية ذاتية له، وهو قد وضع له قوانين، بحيث تكون هذه الأشياء بما لها من خصائص كيفية متضايقة فيما بينها، وبما يقوم من علاقات ترابط متنوعة. وهذا السلطان الذي يترك العالم حرا في كلفيته، يستعمله الإنسان المثقف بفضل معرفته لكيفيات الأشياء وهنا يقصد المرزوقي هنا معرفته بالأشياء كما هي في علاقتها ببعضها البعض بحيث إن الإنسان يجعل نفسه ذا أهلية بما هو غير فتبين نقاط ضعف الأشياء، ومن نقاط ضعف الأشياء هذه، يتعلم الإنسان معرفتها، ويؤثر فيها بفضل كونه قد تسلح حتى يهجم عليها من نقاط ضعفها فتحضع له راغمة.

أحدثت الثورة الفرنسية إعجابا شديدا عند الفيلسوف هيغل، ومن هذا الإعجاب بدأ كل شيء كما يقول ريتز، وهو يعبر في أحد رسائله لصديقه شلينج أن الثورة رمز العصر، يجب أن تكون الدليل على أن القدسية المحيطة بالطواغيت وآلهة الأرض قد انتهت. يضيف أن مهمة الفلسفة الآن "أصبحت تتمحور في الدفاع عن كرامة الشعوب، حتى لا تكفي فقط بالمطالبة بحقوقها وإنما تفتكها، ورغم أن هذا الإعجاب قد تزعزع مع سنوات الإرهاب وعدم الاستقرار السياسي الذي تبع الثورة فإن هيغل ظل وفيما لروح الثورة الفرنسية ورأى ضرورة الثورة"<sup>3</sup>.

في كتاب "المحاضرات في تاريخ الفلسفة" الذي كتبه هيغل على فترات زمنية مختلفة في سنة 1829-1830 (آخر حياته)، يتحدث عن ضرورة الثورة على المؤسسات القديمة أن ما تدمره الثورة قد سبق أن فقد مبررات وجود الذاتية. قد تواصل هذا الإعجاب والانبهار مع هيغل إلى آخر حياته فنجده قد كتب عن الثورة الفرنسية بعد أربعين سنة من قيامها بأسلوب شاعري: "كانت إشراقة رائعة للشمس، رحبت بها جميع العقول المفكرة، وأشاعت على الجميع الإحساس بالبهجة والخبور وهزت الروح في العالم بقشعريرة عميقة جعلتنا نشعر في تلك اللحظة بالذات أننا توصلنا إلى مصالحة حقيقية بين الله والعالم."<sup>4</sup> ويرى ريتز: أن الإعجاب والحماس الذي أدخلته الثورة على التاريخ وما عقبها من تحديات في عدم وجود حلول لمشاكلها وعدم الوصول إلى الاستقرار، ثم سيطرة الاستبداد. فإنها بذلك طرحت مشكلا أساسيا في عصر هيغل ووقفت عاجزة في أن تجد له حلا متمثلا في التحقيق السياسي للحرية لكونها-الثورة- "أعلت مفهوم الحرية ليصبح فكرة أساسية تقوم عليها الدولة ثم ليتحول هذا المفهوم مع

<sup>1</sup> المرزوقي أبو يعرب (2015)، منزلة الإسلام في تصنيف هيغل للأديان، موقع سابق.

<sup>2</sup> الموقع نفسه.

<sup>3</sup> الطرابلسي، حسن (2018)، رحلة الباحث التونسي حسن الطرابلسي من "زمن" ابن رشد إلى "فلسفة الثورة" عند هيغل، بانوراما:

<http://www.almothaqaf.co> (consulté le 27/02/2019).

<sup>4</sup> الموقع نفسه.

"ميثاق حقوق الإنسان" إلى حق طبيعي. لكن السنوات التي عقت الثورة سيطر عليها الإرهاب وفشلت الثورة في تحقيق السلم والأمن وبالتالي أخفقت في تحقيق الحرية على أرض الواقع.<sup>1</sup>

أصبحت فكرة الحرية مبدأ مركزيا ومادة أساسية لفلسفة هيغل والتي اعتبرها أساس وجود الإنسان حينما يحقق إنسانيته وبها يستطيع قيادة حياته الإنسانية. كما يرى في آخر صفحات مؤلفه "فلسفة التاريخ" بأن الثورة الفرنسية سبق لها الفضل على ألمانيا، فلقد أدخلت إليها القوانين النابليونية المدونة القانونية وألغت الامتيازات الإقطاعية ووسعت دائرة الحرية وحقوق المواطنين. إلا أنه اعتبر خطأها الوحيد قد تمثل في إرجاعها الدين الذي يعتبره هيغل ذروة العقل. يمكن القول إن فلسفة هيغل ماهي إلا تعبير الفلسفية عن الثورة الفرنسية، وانطلاقا من هذا فإن حنفي يرى أن هيغل هو أرسطو العصر الحديث لأنه جمع بين "المنطق والوجود، الروح والتاريخ، المثال والواقع، العقل والحس، الله والدولة، الدين والفلسفة عن طريق الصيرورة، فكلا الطرفين يمثلان مرحلتين لصيرورة واحدة ضد ثنائيات اليونان، بين شيلنج وفيخته في المثالية الألمانية، بين كانط وديكارت في الفلسفة الغربية، بين الشرق والغرب مثل جوته"<sup>2</sup>

في حين أن المرزوقي لا يجد طرحا لعملية اشتباه بل يعتبره أفضل صياغة لوحدة الوجود المادية المثالية وكذا الفلسفية الدينية، التي هيمنت إلى حد الآن إيجابا أو سلبا على الفكر الإنساني. يرى أن هذه الوحدة مبثوثة في كتاب "ظاهريات الروح" ويشرح ذلك في أحد الهوامش بقوله إن هيغل "يقدم للقضايا الفلسفية عامة نظريتها وعمليتها وجمالياتها ببعديها التنظيري والتطبيقي من منظور الوحدة بين الإشكاليات الفلسفية بما هي دينية، والإشكاليات الدينية بما هي فلسفية، ومن ثم فهو صريح التوجه نحو تجاوز إشكالية ثنائية الفكر لاستنتاج فلسفة جامعة بين التجريبتين الفلسفية ممارسة وتنظيرا، والدينية الصوفية ممارسة وتنظيرا جمعاً"<sup>3</sup> كما أنه لم يعد يهتم بإشكالية التوحيد التي اعتبرت محسومة في تطور الفكر، أو في تجربة العقل، أو في ظهور الروح ممارسة وتنظيرا حيث صارت الفروق بين ضروب الفكر مجرد مراحل في صعود العقل لشكله النهائي عند هيغل، وبناء على هذا فإنه يتناقض مع قراءة أبي يعرب كل أثر للاشتباه لنجد أن هيغل فتح بابا جديدا يوفق بين الديني والفلسفي، بين السياسي والديني، ليتضح لنا مع هيغل، في كتابه "فلسفة التاريخ" مدى الارتباط الكبير بين الفلسفة السياسية والفلسفة عموما.

ربط هيغل في ذلك بين المبدأ الأساسي للثورة الفرنسية مع المبدأ الأساسي للعقل للفلسفة القديمة، فأناكساجوراس الذي اعتبر أن العقل **nous** هو الذي يحكم العالم، وأنه أخيرا توصل الإنسان إلى أن الفكر هو الروح الحقيقي الذي يدير العالم. إن عقل الثورة بالنسبة لهيغل متطابق مع العقل الفلسفي، وكل ذلك تحقق في بعده السياسي مع الثورة الفرنسية، ولهذا فإن "ريتر" يعتبر أن فصل النظرية السياسية لهيغل عن فلسفته وأبعادها الميتافيزيقية يفقدها لأبعادها الحقيقية، فتتحلل وتفقد جذورها من أساسها. فالثورة الفرنسية حدث سياسي وتاريخي جسدت فلسفة عصر الأنوار والمفكرين الموسوعيين، والتي قد مرت بمراحل وتحولات ظرفية وتاريخية إلى أن انقلبت على نفسها ودخلت في أزمة حقيقية وقامت حكومة الإرهاب والمقاصل الجماعية، وتحولت الحرية إلى

<sup>1</sup>الموقع نفسه.

<sup>2</sup>الطرابلسي، حسن (2018)، رحلة الباحث التونسي حسن الطرابلسي من "زمن" ابن رشد إلى "فلسفة الثورة" عند هيغل، موقع سابق.

<sup>3</sup>الموقع نفسه.

رعب والثورة إلى فوضى وسادت المقولة السياسية الشهيرة (الثورة تأكل أبناءها)، ومن هنا أخذ هيغل يتساءل بعمق "ما الذي جعل الفكر العقلي المحي ينقلب على هذا النحو إلى طوفان مدمر؟"<sup>1</sup>

وبعد أن تأمل هيغل مبادئ الثورة الفرنسية وتجسيدها العملية والتطبيقية وجد أنّ ثمة تناقض بين المادة والصورة، بين المفاهيم النظرية ومحتوياتها الواقعية، بينما هو كائن وما يجب أن يكون، ويقول هيغل في هذا الصدد معللاً "السبب أنّ رجال الثورة لم يسمحوا بالتطبيق العملي الجاد للأفكار التي نادوا بها، ذلك لأنّ تحقق هذه الأفكار بالفعل يجد من حرياتهم لأنّ قيام المؤسسات الدستورية وسيادة القانون وإعطاء كل ذي حق حقه سوف يعني في الحال أن تتحول الحرية المطلقة إلى حرية مقيدة متناهية محددة، ولهذا راحت الثورة تدمر ما تقوم هي نفسها ببنائه"<sup>2</sup>.

كما أن تراجع الثورة الفرنسية وانقلابها على نفسها جعل هيغل يفكر كثيرا في محتوى مفهوم الحرية، فلا وجود لحرية طبيعية أو حرية عمياء في نظره. فالحرية هي الخضوع الواعي لمبدأ أو قانون عام، ولا وجود لحرية مطلقة، وبالتالي فإنه على ضوء أخطاء الثورة الفرنسية في مساراتها قام هيغل بتصحيحه لبعض المفاهيم السياسية والفلسفية كمفهوم الحرية تحديدا، لذلك فإنّ الثورة الفرنسية في نظره وإن نجحت على صعيد المبادئ والشعارات واندفاعاتها الأولى المبكرة والمبشرة. التي أخفقت على مر الزمن في تجسيد هذه المبادئ على أرض الواقع.

وقد ظل هيغل طوال حياته يحتفل بيوم الباستيل وظلت الحرية الشغل الشاغل في فكره، كما في "سنواته الأخيرة كان يسترجع روح عام 1789م، لقد كان سقوط الثورة الفرنسية عنده وعند الكثير من معاصريه في خوف مطلق يمثل أعظم أزمة للروح ويحاول قسم هام في أول كتاب كبير له المعنون ب: (ظاهريات الروح) أن يعرض للإرهاب ويفسره بأنه كان نتيجة للحرية التي أكدت نفسها بطريقة مجردة على أنّها شيء مطلق لا يرتبط بسياق العلاقات الأخلاقية أو تنظيم المؤسسات"<sup>3</sup> وعليه يمكننا تقديم حوصلة مفادها أن الثورة الفرنسية شكلت المنظور العام لهيغل في رؤيته لتاريخ العالم وبقدر ما ألهمت الفكر الألماني بصفة عامة والفلسفة الهيجلية بصفة خاصة. فإنّها سمحت لهيغل بمراجعة هذه الثورة على صعيد الوعي النظري خاصة في جوانبها العملية.

يرى هيغل أنّ الثورة الفرنسية عبارة عن "مبادئ مجردة بدون ضوابط أخلاقية أو قانونية، وهذا ما ألهمه في كتابه المعنون ب: (أصول فلسفة الحق) ليركز على مفهوم الدولة الواقعية وفكرة المؤسسات والمجتمع المدني، فالمؤسسة هي القالب الواقعي للمفاهيم النظرية والفلسفية"<sup>4</sup>.

وبالتالي ما يتحقق هو أكثر غنى واتساعا مما لم يتحقق جوهر فلسفة هيغل في مقارنته للواقع العيني وفي رؤيته الفلسفية في المطابقة بين الفكر والوجود والمصالحة بين المجرّد والعيني. فالنظام الفلسفي الهيجلي لا يقتصر على التفاعل مع الثورة الفرنسية ومبادئها وإنما يتجاوزها إلى حضارة الإسلام كونه يستعمل مصطلح الثورة عند حديثه عن الإسلام، فهو يعتبر أن الإسلام ثورة

<sup>1</sup> إمام عبد الفتاح إمام، دراسات في الفلسفة السياسية عند هيغل، دار التنوير للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2007، ص7.

<sup>2</sup> إمام عبد الفتاح إمام، دراسات في الفلسفة السياسية عند هيغل، مرجع سابق، ص7.

<sup>3</sup> سينسر ليود، كروز أندرجي، أقدم لك ... هيغل، تر: إمام عبد الفتاح إمام، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2002، ص23.

<sup>4</sup> "جليد، قادة، (2019)، "الفلسفة ورماتها عند هيغل". صفيحة المثقف، <http://www.almothaqaf.com>، تم الاطلاع عليه 2019/02/27

الشرق التي كسرت كل خصوصية وكل تبعية مضيئة ومطهرة للفكر **Geist** والذي يطلق عليه **Der Mohammed Anismus** الدين الذي أكد على الوحدانية وجعلت من الواحد المجرد وحده الشيء المطلق. ونستشف من ذلك أن الإسلام قد تجاوز الخصوصية التي وجدت في اليهودية وهذه الأخيرة لم يمض الله تحالفه إلا مع اليهود، ولم ينزل وحيه إلا على هذا الشعب في حين أن الإسلام هو "عبادة الواحد هي الرابطة الوحيدة مع كل شيء. وفي هذا البعد وهذه القوة يزول كل حاجز وكل تمييز قومي وصنفي"<sup>1</sup> كما يبرز إعجابه بالفكر الصوفي عند جلال الدين الرومي و"يذكره في محاضراته عن تاريخ الفلسفة ويتحدث عن التوحد بين الروح الإنسانية والله. كما يبيد إعجابه بسرعة انتشار الإسلام وأن كل من يعتنق الإسلام يصبح متمتعاً بكل الحقوق لجميع المسلمين وغاية المسلمين كانت في تقديم العبادة المجردة، وقد سعوا إليها بأكبر قدر من الحماس **Begeisterung** وهذا الحماس كان عبارة عن تعصب **Fanatismus**"<sup>2</sup>.

### 3. خاتمة:

من خلال ما تم تقدمه، يمكن القول ان المفكر التونسي حاول أن يقف عند جملة من المشاكل المعاصرة لحقبته وركز على ضرورة النهوض الحقيقي انطلاقاً من اهتمامه بفلاسفة غربيين، الامر هذا ما جعل فكره أكثر تنوع من سابقه. وهيكل من بين أبرز الفلاسفة الذين وقف عندهم وحاول تسليط الضوء عليه لكونه قدم أفكار سابقة لعصره. كما يمكننا القول أنّ الفلسفة أخذت منحى آخر مع الفيلسوف الألماني والذي يعتبره المرزوقي آخر موسوعي إذ أن هيكل كغيره من الفلاسفة ترك إرثاً خلفه ولا يزال يخدم الفلسفة ليومنا هذا. أحدث ثورة فكرية على مر العصور وتجلي ذلك في نظرية الثورة التي نعتبرها متفائلة ومنفتحة على المستقبل والتي تقوم على قراءة معمقة للثورة الفرنسية وعلى أهمية مبدأ الحرية كهدف أعلى للتاريخ. ينبغي للفلسفة أن تنطلق منها لفهم المستقبل، فهيجل ليس صاحب فلسفة مثالية مفارقة للواقع بل هو مهتم بالحياة السياسية منذ شبابه، ففلسفته متسقة مع روح عصرها التي كانت الثورة الفرنسية أهم حدث فيه وما تليها من الحروب النابليونية وعودة الملكية وواقع ألمانيا المتخلف آنذاك. ولقد رأى هيكل في الثورة الفرنسية نقطة تحول ليس فقط في تاريخ فرنسا فحسب وإنما في العالم كله وذلك ما أدى بنا الى ابراز المعاني.

### 4. قائمة المراجع:

<sup>1</sup> الطرابلسي، حسن (2018)، رحلة الباحث التونسي حسن الطرابلسي من "زمن" ابن رشد إلى "فلسفة الثورة" عند هيكل، موقع سابق.  
<sup>2</sup> الموقع نفسه.

تدوّن المراجع في آخر المقال وتذكر البيانات الأساسية الآتية:

- **المؤلفات:** المؤلف(ة)، عنوان الكتاب، الناشر، (مكان النشر: الناشر، سنة النشر)، الصفحة.
- إمام عبد الفتاح إمام، دراسات في الفلسفة السياسية عند هيغل، دار التنوير للنشر والتوزيع، (بيروت: دار التنوير للنشر والتوزيع، ط1، 2007).
- الديدي، عبد الفتاح، فلسفة هيغل، مكتبة الأنجلو المصرية، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1970).
- برتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة، محمد فتحي الشنيطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2012).
- جوستاين، غاردر، عالم الصوفي، ترجمة: حياة الحويك العطية، دار المنى، (الأردن: دار المنى، 1991).
- جوناثان، ري أرمسيون، الموسوعة الفلسفية المختصرة، تر: فؤاد كامل وآخرون، المركز القومي للترجمة، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2013).
- سبنسر ليود، كروز أندرجي، أقدم لك ... هيغل، تر: إمام عبد الفتاح إمام، المركز القومي للترجمة، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2002).
- صبحي، أحمد، في فلسفة التاريخ، مؤسسة الثقافة الجامعية، (الإسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية، 1975).
- نازلي، إسماعيل، الشعب والتاريخ، دار المعارف، (القاهرة: دار المعارف، 1976).
- هيغل، العالم الشرقي، ترجمة، إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، (بيروت: دار التنوير، 2007).
- هيغل، العقل في التاريخ، ترجمة، إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، (بيروت: دار التنوير، 2007).
- الشافعي، سلمان علاء(2019)، فلسفة التاريخ عند الفيلسوف الألماني هيغل، الألوالة الثقافية: [www.alukah.net/cultur\(consulté le 31/01/2019\)](http://www.alukah.net/cultur(consulté le 31/01/2019))
- المرزوقي، أبو يعرب (2015)، منزلة الإسلام في تصنيف هيغل للأديان <https://abouyaarebmarzouki.wordpress.com:2015/07/07consulté le 12/12/2018>
- الطرابلسي، حسن (2018)، رحلة الباحث التونسي حسن الطرابلسي من "زمن" ابن رشد إلى "فلسفة الثورة" عند هيغل، بانوراما: [http://www.mediamagde.com/ar/news/111\(Consulté le 12/12/2019\)http://www.mediamagde.com/ar/news/111](http://www.mediamagde.com/ar/news/111(Consulté le 12/12/2019)http://www.mediamagde.com/ar/news/111)
- تريكي، مالك (2016) فسحة فكر، المفكر التونسي أبو يعرب المرزوقي، 2016/05/20: <http://www.youtube.com/watcconsulté le 12/04/2017>
- جليد، قادة، (2019)، "الفلسفة ورواها عند هيغل". صفيحة المتقف: [http://www.almothaqaf.co \(consulté le 27/02/2019\)](http://www.almothaqaf.co (consulté le 27/02/2019))